أبواب نصف مغلقة

صابرين الديب

إبداع
للنشر الالكتروني

أبواب

نصف مغلقة

إبداع

صابرين الديب

تصميم

غلاف : Besan. Beso

داخلي : Amany Mahmoud

تعبئة ورابط إليكتروني : Amany Mahmoud

فريق عمل

إبداع

للنشر الإليكتروني

أبواب نصف مغلقة

أحلامنا هي أسوأ نافذة على ما لا نريد أن نراه..

.....

يقال أن الحلم تعبير نفسي، مخرج صحي، ومنطقي للغاية عن رغبات العقل اللاواعي، ما تدفنه المبادئ والمثل ينقب عنه الحلم بوحشيته..

أو صدقه!..

لكن معك أنت الأمر يختلف..

معك الصورة تفيض بالقسوة، بالألم.. تشتهي أجفانك العناق ويأبى عقلك التقائهما!..

القلق يعشش في صدرك والرهبة تغمر قلبك..

حتى أنك غرقت في وحشتك ووحدتك وأبيت أن تستكين..

كلما أغمضت عينيك تتداعى الصور، بعضها قد تشعرك بالحبور، والآخر ينهِك أنفاسك فتتلاحق فَرَقاً.. ينبض قلبك بقوة ويكاد يغادر صدرك بلا رجعة، تلهث بلا انقطاع ويقل الدم الواصل لثنايا مخك فتكاد تفقد وعيك هربا منها..

تلك الأحلام لا تتوقف ولو لغفوة مبتورة!..

ما إن تخرج من أحدها حتى يزورك التالي، قد يشقيك تخيله وبعد صحوك يؤلمك تذكره لكن ما بيدك حيلة..

مهما حاولتَ سيبقى عالقا هناك بين خلاياك، يجري مع دمك في أوردتك ويدخل لرئتيك مع كل شهيق، ثم يُحبس داخل صدرك حد الاختناق..

كانت تلك الأفكار تتصارع داخل عقل "إيهاب" وهو يجلس على مكتبه في الغرفة المشتركة بينه وبين زميليه.. أحلام تزور رقاده لينهض منه فزِعًا ويقاطع نومه بعدها..

هالات سوداء تصادق عينيه، واحمرار أُستبدل ببياضهما.. عصبية تطغى على تصرفاته وفظاظة تصاحب لسانه حتى بات الجميع يتحاشاه..

إلَّاها هي!..

تلك الرقيقة التي يبتهل دومًا ألا تزور منامه؛ لكنها فعلت..

تطلع لفنجان القهوة أمامها، يتصاعد منه البخار الدافئ، كان يعلم ما سيحدث بعد قليل!.. ود لو منعه لكنه حاول من قبل وكل خططه باءت بالفشل..

فما يراه في نومه، يحدث بلا أدنى تغيير..

وإن حاول تغييره؛ انقلبت الأمور فوق رأسه جحيمًا يزيد من تحاشي الناس له، ونظرتهم إليه كمختل..

لاحظ أنها تمد يدًا رقيقة لتلتقط القدح، سيحدث الآن.. تتبعها بعينيه، لحظة أخرى، صوت عالٍ مفاجئ، ها هي ترتعب، تهتز يدها فتسقط القهوة الساخنة على كفها وساقيها لتنتفض واقفة في ذعر وألم..

نهض مسرعًا محاولاً مساعدتها، التقط محرمة ورقية وناولها إياها هاتفًا بلهفة:

- يا خبر.. خدي بالك يا آنسة ريم..

أخذتها منه في خجل، مسحت بها ثيابها بينما تكبت أنين وجع.. لكن سعادتها كانت تطغى عليه!..

إنه يهتم.. ملامحه قلقة.. هب دون مقدمات في محاولة غوث..

تلك لمحات لو كانت تعرف أن قدحًا من القهوة يغرق ثوبها سيسببها لسكبته منذ زمن، ابتسمت له بحياء هامس:

- متشكرة..

قابلتها ابتسامته الحنون بينما يسأل باهتمام:

- أنتِ كويسة؟..

أومأت برأسها إيجابًا في صمت.. عاد يجلس خلف مكتبه وهو يحتويها بعينيه، رفعت عينيها إليه للحظة،

التقتا بنظراته مما زادها خجلًا وغزت تلك الحمرة الرائعة وجنتيها فابتسم..

ثم عاد لشروده من جديد..

كانت القهوة ألمًا خفيفًا، ماذا إن زارت أحلامه مجددًا وكان الأذى أكبر؟..

كيف يوقف أحلامه ويمنعها من التحقق؟..

بل كيف يوقفها نهائيًا لينام قرير العين مرتاحًا كغيره؟..

تلك المرة التي جرح نفسه فيها بالسكين وهو يقطع ثمرة فاكهة كانت البداية..

رآها في حلم لم يأبه له، لكن في اليوم التالي حدث الجرح، في ذات المكان وبنفس التفاصيل.. شعر بنوع من الرهبة، كان الجرح في الإصبع نفسه، نفس الثمرة والسكين.. أيعقل هذا؟..

حاول تناسي الأمر ونجح لأيام..

ثم كانت المفاجأة التالية، الأقسى والأعنف، الصادمة حتى أنها كادت تفقده صوابه..

صديقه الصدوق!..

حادثة سيارة أنهت حياته.. حلم، بعدها بأيام تحقق.. انكمش وتقوقع على وحدته، حبس نفسه في غرفته لأيام طوال، طالت لحيته ونحف كثيرًا، حفر الحزن خطوط عذاباته على وجهه وندوب وجعه في قلبه، فكر بخبال مستحق.. لمَ زُرتني في أحلامي يا صديقي؟..

هل كنتُ سببًا في موتك!..

أم أنني فقط علمتُ به قبل موعده؟..

بدأ يتعاظم بداخله الشعور بالذنب، ابتعد عن أصدقائه، لم يعد يلتقيهم على الرغم من محاولاتهم لجذبه من داخل قوقعته التي أغلقها على جنونه.. ظنوا أن موت رفيقهم هو السبب، لكنه كان فقط البداية!..

بعدها توالت الخطوب وأنَّ قلبه وَصَبا..

هاهي حادثة عمه، غرق ابن أخته، عملية خطيرة لوالدته.. من بقيت له من الدنيا، خطبة صديقه، فراق بعد قصة حب انتهت بفشل ذريع، اكتئاب يصيب الصديق انتهى بانتحار، أي مصائب تلك!..

ثم ظهرت هي..

تلك الزهرة الرقيقة التي ما إن رآها حتى دق فؤاده لها، شاركته مكتبه مع زميله، لاحظت شروده الدائم وفظاظته مع الجميع..

كانت دومًا خجولًا، ما إن تلتقي الأعين حتى تعلو حمرة جمال وجنتيها وتهرب ببصرها بعيدًا في صمت..

هادئة هي كنسمة صيف، رقيقة كزهرة أقحوان عبيرها فواح.. خشي من نفسه عليها، ذعره من زيارتها لأحلامه لم يفارقه للحظة، ألهب أعصابه فساءت صحته أكثر وزادت خشونته مع من حوله..

إلا زهرته.. وجدها أمامه فجأة تتطلع إليه صامتة على استحياء، ابتسم دون أن يدري وعلى وجهه ارتسم تساؤل أجابته في خفوت:

- ملف شركة الرياض.. اتفضل..

ناولته الملف بهدوء وبدا كأنها تحثه على شيء ما!..

التقطه منها ببطء وهو يتطلع لعينيها في حنان، ابتسمت هي والتفتت عائدة لمكتبها، جلست خلفه كريشة تحلق في الهواء ثم استقرت بنعومة مستكينة بقربه هناك، يومها لم تفارق خياله..

أتراها تبادله إعجابًا بإعجاب؟..

هل تشعر بنظراته ولهفته؟..

هل يصل إليها قلقه وخوفه؟..

زارته في أحلامه ليلتها وقبل أن يقفز من فراشه فزعًا رآها بثوبٍ أبيض، تحمل تاجًا ملكيًا على رأسها وتجلس على عرش قلبه..

ابتسم بحب، حسنًا تلك إشارة..

لم يدم تفكيره طويلًا.. توجه إليها مباشرة في اليوم التالي وطلب منها أن تأخذ له موعدًا من والدها.. كانت الابتسامة التي رآها على شفتيها بعدها كمُلك الدنيا له، بل وأكثر..

وعلت الزغاريد بقرب فرحة قلبه..

حان الوقت، ليلتها لم يمكنه النوم، التهم القلق روحه لكن سعادته كان تحاول اختراق ظلامه بين حين وآخر ليحلق معها في سماء البهجة والنعيم..

غلبه نومه ليستيقظ منه مرتاعًا.. بقعةً حمراء تغرق بياض ثوبها!..

ما الذي يحدث!.. ما هذه البقعة!.. هل ستفارقه قبل موعد اللقاء!..

نهشته الأسئلة وافترست تعقله وثباته..

لن يحتمل فقدها أبدًا، تحامل على نفسه، تصارعت أفكاره والتهب عقله.. هل يلغي الزواج؟..

هل يكسر قلبها؟..

شعر أن الاختيار صعب، مستحيل.. يمكن أن تكون أية بقعة!.. هل يكسرها ويضيع حبها لتكهنات مبهمة!.. أم يبتعد عن حياتها ويغادرها بلا عودة!..

أتى الصباح وهو غارق في حيرته وارتباكه.. رن هاتفه برقمها، تردد، أجاب في تِيه، ثم قهره نابضه الغارق في هواها ووَعَدَ باللقاء..

....

حفل زفاف بسيط، أنيق يلائم كليهما..

قلبه عانده في كسرها، في التسبب لها بحزن، عقله أقنعه أن الأمر له احتمالات عدة لا تستحق أن يئد سعادته وسعادتها في مهدها من أجلها..

واستجاب..

كان يطير فرحًا وهو يمسك بيدها، يقودها لمجلسهما في عرسهما.. صور عديدة أُلتقِطت.. بسمات وزغاريد فرح، تهاني ودعوات بالبركة..

وقت صور المشروب الشهيرة!..

التقطت كوبها وقبل أن ترتشف منه أسقطه الساقي فوق ثوبها الأبيض، فتلطخ ببقعة حمراء كبيرة..

شعرت بالأسى وكادت تصيح في الرجل غضبًا، أما هو فكانت سعادته لا توصف.. أمسك بكفها برفق وحنان جعلها تلتفت إليه في حزن، قابلتها ابتسامته فابتسمت رُغمًا عنها، جذبها ووقف يحتوي يديها بكفيه.. همس لها بحنو:

- مش مهم.. المهم إن سعادتنا تكمل، مش بقعة بسيطة هتنهيها أو تأجلها..

ابتسمت ثانية في خجل وهي تخفض عينيها أرضًا.. فتح فمه ليقول شيئًا آخر لكن سهمًا حارقًا أوقفه!..

بينما تتشكل بقعة أخرى فوق موطن خافقها العاشق وهي تتشبث به في ذهول قبل أن يسقطا أرضًا سويًا..

لا تزال كفها بين أصابعه، وصورتها بين جفنيه حين عناقهما البطيء، أغلق عينيه في هدوء والصرخات من حوله تمتزج في فوضى وعبث..

عندما أفاق كانت الحقيقة الصادمة نُصب ناظريه!..

تلك البقعة لم تكن أبدًا احتمالًا رائعًا صالحًا للتمني أو التصديق.. بل كانت هي الاحتمال المخيف الذي أراد أن يتناساه، أن يهرب منه..

ضاعت الحبيبة الرقيقة والزهرة التي غيرت حياته بشذاها..

ضاعت برصاصة غادرة عبرت صدره أولاً قبل أن تستقر في قلبها، كان حاملها حبيب مجنون ظنها خانته وغدرت به..

اعتكف، أغلق كل المنافذ التي يفتش عنها المقربون منه ليعبروا إليه..

صديقته الجديدة كانت أطنانًا من القهوة كي لا ينغلق جفناه أبدًا؛ لكن أنَّى له هذا!..

2014/9/26

صابرين الديب